تقرير

التيار الصدري و«أصحاب القضية».. أسباب الخلاف ودلالاته

17 إبريل 2023

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

في قرار مفاجئ وسريع، أعلن زعيم التيّار الصدري حُجة الإسلام مقتدى الصدر، تجميد نشاط التيار الصدري لعام كامل، وأعلن بتاريخ 14 أبريل 2023م إغلاق حسابه في «تويتر» حتى إشعار آخر. جاءت تلك القرارات المفاجأة والسريعة كردّ فعل على «أصحاب القضية»، الذين تجمهروا في المسجد، الذي كان يعتكف به الصدر، وأرادوا مبايعته على أنَّه الإمام المهدي، فأمر الصدر بتجميد «التيّار»، وإلغاء الاعتكاف في مسجد الكوفة، واعتقلت القوات الأمنية على أثر ذلك أكثر من ستين شخصًا ينتمون إلى «أصحاب القضية»، وقرَّرت محكمة تحقيق الكرخ توقيف 65 متهمًا من «أصحاب القضية»، التي تروِّج لأفكار تسبِّب إثارة الفتن والإخلال بالأمن المجتمعي.

أولًا: من هُم «أصحاب القضية»؟

هم مجموعة من المُغالين ينتمون إلى التيّار الصدري، يعتقدون أنَّ مقتدى الصدر هو الإمام المهدي، وبعضهم يعتقد أنَّ الإمام المهدي «جندي من جنوده»، وآخرون يعتبرونه أفضل من الأئمة المعصومين. لكن الرأي السائد لديهم، أنَّ مقتدى الصدر هو الإمام المهدي. وليست تلك الحركة حديثة النشأة، بل نشأت بعد الغزو الأمريكي للعراق 2003م، وقيادة الصدر لحركة مقاومة واسعة ضد القوات الأمريكية وقتئذ.

و«أصحاب القضية» هم امتداد لتشظِّيات لجماعات مهدوية، تأسست أو ظهرت إلى العلن بعد الغزو الأمريكي للعراق، فهم امتداد لجماعات مثل: «جند السماء»، و«جماعة اليماني»، و«السلوكيين»، الذين اعتقد بعضهم أنَّ الصدر الثاني هو الإمام المهدي المنتظر، وقد اضطرَّ «جيش المهدي» (التابع لمقتدى الصدر حينئذ) إلى مواجهة مسلَّحة مع «السلوكيين»، واستحضر الصدريون خطاب آية الله محمد الصدر ضدّهم، عندما قال عن «السلوكيين»: «أُخاطِب المجتمع المؤمن ذوي العقول الصافية والنفوس البريئة، أن يقاطعوا هؤلاء ويتبرّأوا منهم، ويبتعدوا عنهم بُعد السليم من الأجرب» (رشيد الخيون، الإسلام السياسي بالعراق، 1/ 593). وهو نفس ما ردَّده ابنه مقتدى من تحذير ضدّهم، عندما تضخَّم «السلوكيون» في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ثمّ اعتقد فريق آخر، يبدو أنَّهم «أصحاب القضية»، بمهدوية

مقتـدى الصدر ابن آيـة اللّه محمد الصدر، فانتقدهم مقتـدى مبكِّرًا، قائلًا: «إنَّ من يشيِّع مثل هذا الأمر (يقصد مهدويته) فهو كاذب، وفاسق وملعون إلى يوم الدين، ويحقّ لي تقديمه إلى القضاء الحوزوي». ثمّ ما لبث بعد سنوات أن أعاد الهجوم عليهم، قائلًا: «مثل هؤلاء أعدائي، وأنا لست الإمام المهدي، إنّما أنا إن شـاء اللّه أكون مسـتحقًّا لأن أكون ممهِّدًا للإمام المهدي»، وعندما سُئل لماذا لم يُكفِّرهم، قال: «بل هُم كفار».

ثانيًا: رد فعل الصدر.. الأبعاد والدلالات

علـى الرغـم من وجـود هذه الجماعـة، ومثيلاتها منـذ زمـن، إلّا أنّ رد فعل الصـدر كان مفاجئًـا هذه المرة، فقـد أعلن عن تجميد عمـل التيّار الصدري لمدّة سـنة، وإنهـاء الاعتكاف، لكنّه أكّـد أنّ «التجميد يسـتثني فعاليات إقامة صلاة الجمعة الموحَّدة وهيئة التراث الخاصة بالتيّار». وقال الصدر: «أن أكون مصلحًا للعراق، ولا أستطيع أن أصلح التيّار الصدري فهذه خطيئة، أن أستمرّ في قيادة التيّار الصدري وفيه أهل القضية وبعض من الفاسـدين وفيه بعض الموبقات، فهذا أمرٌ جلل».

ويرجع رد الفعل السـريع والمفاجئ إلى عدّة أسـباب، يمكن حصرها فيما هو ديني، وسياسي:

1- **العامـل الدينـي**: فيبدو أنَّ الصدر استشـعر وجود أيادٍ خفية تسـتثمر في تلـك الحركات المتطرِّفة المُغالية الموجودة في أحشـاء التيّار الصدري، أو التي تلتصـق بـه، ومن ثمَّ تريـد إحراجه أمـام أتباعـه، وأمام الحـوزة، والجمهور العراقي؛ وبالتالي الخصم من رصيده الديني والسياسـي، وزعزعة شـرعيته داخـل الجماعة الشـيعية. ويـدرك الصـدر أنَّ تضخم مثل هـذه المجموعات المُغاليـة فـي مفاصل تيّـاره يؤدِّي إلى أزمـات عميقة داخلـه، رُبما تخرج عن إمكانيـة لَمِّها ولملمتها؛ فتضخُّـم المجموعات المغالية يحرف التيّار الصدري عن مساره، ويعرّضه للخلافات الداخلية المذهبية، وربما يعرِّضه للتفتُّت والانهيار والتشـظِّي، على غـرار الجماعات الأخـرى، إذا ما دبَّت مثـل تلك الخلافات في مفاصله، لاسـيّما والتيار يعتمد في شـرعيته على إرث الشهيدين الصدر

الأول والثاني؛ وبالتالي فإنّ أيّ انحراف عن مسارهما يؤثِّر على شرعية التيّار وسمعته. إضافةً إلى أنّ سماح التيّار بمثل هكذا حركات داخله يُعرِّضه أيضًا لأزمات خارجية من قِبَل مراجع التقليد الشيعة، الذين يَعدُّون مثل هذه الحركات مُغالية ومتطرِّفة، ولا تحظى بأيّ قبول داخل النجف أو قُم، فمحاربة الصدر لها جزء من شرعيّة مركزيته داخل الجماعة الشيعية والحوزوية، وجزء من ترتيبات موقعه الفاعل في المستقبل القريب، خصوصًا إذا كان يهدف، كما هو الواقع، إلى التصدُّر المرجعي وخلافة والده. وهذه ليست أول مرّة يحاول الصدر كبح «أصحاب القضية» داخل التيّار الصدري، فهو منذ عام 2007م، وهو يشتبك معهم ويحذِّر منهم، كما سبق، إلّا أنّه كثَّف جهوده ضدّهم في الآونة الأخيرة، وقد نشر في السابع عشر من أكتوبر 2021م بيانًا، جاء فيه: «أنا مقتدى ابن السيد محمد بن السيد محمد بن صادق الصدر، عراقي مسلم اثنا عشري، لست معصومًا، بل طالب علم في الحوزة العلمية الشريفة، وكلّ من يدعي خلاف ذلك فهو كاذب، وأبرأ منه أمام اللّه ورسوله». وعاقب الصدر مرارًا أشخاصًا داخل تيّاره؛ بسبب انتمائهم إلى «أصحاب القضية»، بما يدُلّ على أنَّ محاربة الصدر لتلك المجموعات هي إستراتيجية، وليست براجماتية أو تكتيكية، إذ يرى أنَّهم يهدِّدون مستقبل مشروعه ومشروع والده، ومكانته وموقع عائلته داخل النجف والمراكز الشيعية، ويرى في نفس الوقت أنَّ ثمّة من يستفيد من تلك المجموعات من خصومه، حين يُظهِرون الصدر كأنّه شارد عن الخط الشيعي، وعن ميراث الاثني عشرية.

2- **العامل السياسي**: ثمّة عامل سياسي لا يقِلّ أهمِّية عن الجانب الديني؛ فأيّ بروز لمثل تلك المجموعات المُغالية يخصم مباشرةً من الرصيد السياسي للتيّار الصدري في الشارع الشيعي خصوصًا، والعراقي عمومًا. الصدر وإن كانت له الجماهيرية الأوسع، إلّا أنَّ تلك الجماهير لا تؤمن بمهدويته، بل تؤمن بزعامته السياسية، والصدر يدرك ذلك جيِّدًا؛ لذا سارع إلى التبرُّؤ من هذه المجموعات، بل اتّهمها في دينها ونواياها. الأمر الآخر أنَّ الصدر يُصدِّر نفسه في المشهد السياسي الشيعي، على أنه احتوائيٌّ توليفي، يؤمن بالتعدُّدية، ويحاور الجميع، ويقفز على المذهبية والطائفية؛ وبالتالي، فإنَّ أيّ سكوت على

مثـل تلـك المجموعات يؤثِّر بلا شـكّ على هذا النمط مـن الخطاب، والمكانة، إضافة إلى أنَّ الصدر يؤمن بالإرث الشيعي الاثني عشري، ويُعِدّ نفسه امتدادًا لمشروع والده آية الله السيد محمد الصدر، ومن ثمَّ فرفضه لهذه المجموعات المغالية هو رفض مبدئي إستراتيجي، بل إنّ تجميد الصدر للتيّار الصدريّ لمدّة سنة، من شأنه أن يحول دون مشاركة التيّار في العملية السياسية القادمة، بما فيها الانتخابات المحلِّية، في حال استمرار ذلك القرار.

وعلـى كلٍّ، فقـد أدّت هـذه العوامـل إلى مسـارعة الصدر للتخلُّـص من هذه المجموعات المُغالية والتبرُّؤ منها، وتأليب القضاء الرسـمي عليها، وليس فقط محاكمتها حوزويًا، كما هدَّد من قبل.

ثالثًا: مستقبل «أصحاب القضية»

لا يمكن القول إنَّ قرار الصدر السريع والمفاجئ سيقضي على تلك المجموعات المُغالية، لكنّه على الأقل سـيكبحهم داخـل التيّار الصدري إلى حدٍّ كبير. وفي نفس الوقت، فإنّ تلك المجموعات على اختلاف مسمَّياتها، ستبقى على هامش المشـهد الديني الشـيعي العراقي والإيراني؛ نظرًا لوجـود حوزات ومرجعيات تضبـط عمل الجماعة الشـيعية، وتحـول دون تضخم تلـك المجموعات، التي نُرجِّـح أنَّهـا سـتبقى على هامـش الحياة الدينيـة وهامش المذهب الشـيعي، لاسيّما مع مواجهتها للجميع وتشكيكها في المرجعية، وتحريفها لمعالم المذهب وضرورياته.

وممّـا يرجِّـح بقاء تلـك الجماعات علـى الهامش، أنَّ خلافهـا ليس فقط مع التيّار الصدري، بل مع كافة المراجع المعتبرين في العراق وإيران، وقد انتقدهم «الإصلاحيـون» و«التقليديون» على حدٍّ سـواء. وللمرجعيـة العليا بيان نقدي للجماعـة السـلوكية من قبل، فمشـكلة تلك المجموعـات إذن، أنَّها تغرِّد خارج المألوف الشـيعي، وعادت جميع الفاعلين الحوزويين. على المسـتوى السياسي أيضًـا، فإنّ الدولة تتدخَّل عبر المؤسسـات الأمنيـة والقضائية كل فترة، لكبح مثـل هـذه المجموعات؛ حتى لا تتضخم في الشـارع العراقـي، لأنَّها إذا كانت

خطرًا على الحوزة والخطاب التقليدي الشـيعي، فهي خطر كذلك على الأمن القومي للدولة، ويهدِّد استقرارها ونسيجها المجتمعي.

خاتمة

تبـرَّأ الصدر من «أصحاب القضية»، وجمَّد التيّار لمـدّة عام، واتّخذ إجراءات سـريعة ومفاجئـة ضدّهم، موازاةً مـع إجراءات قانونية مـن القضاء العراقي ضد العشرات منهم. وقد ظنَّ «أصحاب القضية» أنَّ بإمكانهم التوغُّل والتأثير داخل التيّار الصدري، عبر الزعم بمهدوية مقتدى الصدر، والتأثير على العوام داخل التيّار باعتباره التيّار الشيعي الأكبر في البلاد، لكن مقتدى الذي يحمل مشـروع والـده الديني والسياسـي، تبرَّأ منهـم، كما تبرَّأ منهـم والده آية اللّه محمد الصدر من قبل، وأغلق الباب أمام أيّةِ محاولات لتشـويه سـمعة التيّار، أو تصديرهم على أنَّهم جزء منه. وتأتي إجراءات الصدر السـريعة والمفاجأة، بما يدل على امتعاضه من اسـتمرارية تلـك المجموعات المغالية في الالتصاق ببيت الصدر والتيّار الصدري، وخشـيته من تأثيرهم في جماهيرية التيّار، أو اسـتغلالهم من بعض خصومه، أو ضرب علاقتـه بالمرجعية العليا، أو حلفائه السياسـيين. وفـي نفس الوقـت، أظهر حرصه على التمسُّـك بـإرث التقليد الشيعي، وخط الحوزة. من ناحية أخرى؛ فإنّ حدّة الموقف، الذي اتّخذه زعيم التيّار الصدري، وخشيته من تصدُّع ومغالاة في أفكار بعض منتسبي التيّار، قد تضعِف قُدرة الصدريين من الفعاليَّة في الشأن السياسي والديني في العراق.

info@rasanahiiis.com
@rasanahiiis
www.rasanah-iiis.org